# الخُزامى

## لمياء عبدالسلام- المغرب

لطالما افتخرتُ بهذا العشق الكبير واعتبرتُ نفسي محظوظة به، فهذا الزوج الرائع الذي يطوقني بأحاسيسه الجياشة ويعاملني كملكة ، هو تاجي الذي أتزين به منذ أزيد من ثلاثين سنة. فقد اختطف قلبي وحلق به عاليا . لأرى من سماء وجدهِ المرهف، حقول الحب و وبراري الإهتمام مترامية على تضاريس حياتي، ملونة صباحاتي ومساءاتي بمسك المودة والرحمة..هو زوجٌ ليس ككل الأزواج ..فأنا لا أذكر أبدا أنه طالبني يوما بمهام خارج البيت. فلا أذكر أنني ذهبت إلى السوق مثلا، كما تفعل معظم النساء للتبضع أو لإحضار الخضر والفواكه ومتطلبات البيت ..ولا أذكر أنه كلفني بمهمة دفع الفواتير.. أو أثقل أيامي بالشكوى والتذمر من مشاكل عمله.. بل حتى ضيوفي من الجارات أو القريبات كان كثيرا ما يساعدني لتهييئ واجب الضيافة لهن .فقد كان طباخا ماهرا وشخصا ذواقا يجيدُ ترتيب أطباق الحلوى و الكعك ويجيدُ ترتيب فناجين القهوة الساخنة.. التي نقدمها لهن. وقد تعدى إهتمامه بي إلى إحتياجاتي الخاصة من ملابس وأحذية وإكسسوارات و مستحضرات التجميل وعطور .. كل ذلك كان هو من يختاره ويحضره لي بعناية فائقة. وأنا بطبيعة الحال لا أعترضُ ولا أنكر سعادتي به و بخدماته تلك .. إنه يحبني كطفلة مدللة ويمنحني كل ما أريده وأكثر..و يسمحُ لي بالتنزه مع أقربائي ويسمح لي بحضور الحفلات و يغدق علي بالهدايا ..

يقول لي دائما أنت اللافندر الذي يُزين حياتي..! أنت الخُزامى الرقيقة التي أخشى عليها حتى من أشعة الشمس الدافئة..! وقد عشتُ سنواتي معه وأنا لا أحمل أي هم أو مسؤولية، ولا أشعرُ إلا بالإستقرار والهدوء والراحة ..فكان نتاج هذا الزواج ابننا الوحيد عدنان الذي ربيناه وعلمناه جيدا، ليلتحق بعد تخرجه بوظيفة ممتازة في مدينة أخرى. لم يكن ذلك البعاد الجغرافي يتبعني أو يُحزنني، لأنني كنت في تواصل دائم معه عبر هذه التكنولوجيا الحديثة. كما أن زوجي الحبيب بجانبي دائما ، فمنذ أن تقاعد عن العمل وهو ينهض باكرا ويخرج إلى المخبزة التي في ركن الشارع الرئيسي، و يحضر لي منها الكرواسون الذي أحب، كي أتناوله على وجبة الفطور، ومعه زهرة من زهور الخزامى التي أعشقها ..

كانت لنا في كل يوم حكاية، وفي كل ساعة رواية، وفي كل دقيقة تمر بيننا نسيمُ عبقٍ من عشق ربيعي لا يشيخ.. نخرج سويا ونتمشى على أطراف البحر ، نتسلى بجمع القوقعات الفارغة التي نصنع بها أشكالا نزين بها أحواض النباتات التي في شرفة بيتنا ، نجلس في المطاعم ونطلب أكلات من السمك المشوي الذي نستمتع به معا ، نتجول في المكتبات حيث يشتري زوجي أصنافا مختلفة من الكتب ، أعرفها جميعا ليس لأنني أنا التي أطالعها، ولكن لأنه هو من يتطوع في كل مساء ،ونحن جلوس على شرفة بيتنا، يتطوعُ ليقرأ لي .

ربما يتسائل البعض هل هذا رجل حقيقي..؟ أم أنه مُجرد خيالٍ في عقل إمرأة ؟

صدقوني هو رجلٌ من لحم ودم! وهو زوجي الذي دللني حتى أنني لم أعد

أقدر أن أقوم بأي شيء بمفردي ، فبدونه لا أستطيع أن أعيش! فوجوده هو أكبر نعمة في حياتي ..

وفي تلك الليلة التي قضيناها كعادتنا في التسامر معا، قررنا أن ننهض باكرا حتى نذهب في رحلة ترفيهية للمدينة المجاورة لمدينتنا ،فكان ذلك هو برنامج الغد الذي غفونا عليه .. وقبيل الفجر بربع ساعة تقريبا أحسست بزوجي يسعل بشدة، فاستفقت على إثر حركته المضطربة التي قام بها بغتة، إذ بدا لي وكأنه يختنق . لأجده ينظر إلي بغرابة ثم رفع سبابته ليتمم شيئا، علمت بعد ما استفقتُ من دهشتي؛ أنها كانت الشهادة ..فقد مات لحظتها..!

ويا لهول الصدمة! فقد تيبستُ في مكاني لفترة، وقد تخدرت أصابعي وجحظت عيناي ، ثم تنبهت وأخذت هاتفي وبدأت بالإتصال بابني وأقربائي وأنا أتلعثم في الكلام ولا أعي ما أقول . جاء الجميع وقاموا بتجهيز الجنازة .

لم أتوقع أبدا أن يكون الموت هكذا بسيطا وسهلا وقريبا ..لم أتوقع يوما أن يتركني هذا الحبيب الرائع ويرحل ..دون أن يعلمني بميعاد رحيله، دون أن أستمع لخطواته وهي تبتعد عني. لتترك ذاكرتي مظلمة موحشة غارقة في الوحدة!

لم أتوقع يا توأم الروح أن نفترق!

لكن هذا قضاء الله وليس علينا إلا التسليم له ..فبعد مرور أيام العزاء عاد كل واحد من أقربائي إلى حياته..واقترح علي عدنان أن أنتقل للعيش معه ،فهو يعلم يقينا عجزي عن تدبر حياتي بمفردي وأنا المدللةُ التي لم تشتري يوما حتى رغيف خبز بمفردها ! رفضتُ بشدة وأقنعته بأنني لن أترك بيتي الذي جمعني كل تلك السنوات برفيق دربي ، فاتفقنا على أن يزورني مرة في نهاية كل أسبوع حتى يهتم بطلباتي.

ومرت الأيام ثقيلة وغريبة ..فقد افتقدتُ إطلالة زوجي الرائعة على أيامي المتشابهة الذابلة، فماعادت الصباحات كما كانت بنفسجية اللون.. وما عادت المساءات لطيفة مليئة بالحكايا. حاولتُ أن أتسلى كما كنا نفعل سويا في الماضي لكن دون جدوى ..حاولتُ أن أخرج لأتمشى على الشاطئ، لبست ثيابي وتجهزت ووقفتُ أمام الباب ، لكنني لم أستطع أن أفتحه،فأنا في حياتي كلها لم أخرج لوحدي ..فعدتُ ونزعت ثيابي بإحباط ، ثم عدتُ إلى قوقعتي..

وفي ذلك الأسبوع تأخر عدنان وهاتفني معتذرا لسبب من الأسباب.. وتكررت مع مرور الأيام تلك الاعتذارات. وبدأتُ أحس بالضيق، فأنا لن أعتمد عليه، وأنا قادرةٌ تماما على التصرف بمفردي .. فتشجعتُ يومها على الخروج للشارع ، لتأمين بعض ما يلزمني من أغراض،كانت ركبتاي ترتجفان وأنا أخطو . فأحاول أن أسير بانضباط ،لكن الخوف من مواجهةٍ شخصيةٍ مع المجتمع، كان متمكنا مني..كنتُ كطفلة صغيرة في أول أيام المدرسة تجدُ صعوبة في مفارقة ثوب

أمها المتمسكة به بشدة..سرتُ في إتجاه محل يبيع الفواكه ،فلاحظتُ بجانبه محلاً لبيع الورود ، والذي جذبتني نباتاته الخلابةُ وأزهاره الرائعة، ولون الخزامى المميز الذي افتقدته منذ مدة .. وقفت أمامه ومددت يدي لألتقط واحدة كي أشم عبقها ..وإذا بصاحب المحل يصرخ بي :

"هيه ..أنتِ يا امرأة !أنتِ دائما ما تقومين بإفساد الورود بأصابعك تلك ..فلا أنتِ تشترينها ولا أنت تتركينها على حالها ليشتريها غيرك ..! فاذهبي وابتعدي من هنا!

أأأنا ..!

نعم أنتِ !وجحظت عيناه وهو يصرخ بي ، لم أستطع أن أتكلم أو أدافع عن نفسي ..تركتُ تلك الخزامى وابتعدتُ خائفة مرتجفة وأنا أكاد أبكي من قهري ، فأنا لم يسبق لي أن صرخ أحد في وجهي ، وأنا لم أقف يوما في ذلك المحل حتى يتهمني صاحبه بذلك الإتهام ، فهو لو يعلم حقيقة أمري لما فعل مافعل ، فهذه هي أول مرة أخرج فيها وحدي..وأول محاولة لي لتدبر حياتي بنفسي ..ولعلها الأخيرة..!

آه يا زوجي الغالي ليتكَ لم تحبني بتلك الطريقة! ليتكَ سمحت لي بمعرفة الحياة على حقيقتها ..ليتكَ سمحت لي بشراء ولو زهرة خزامى من قبل ..!

عدتُ إلى البيت سريعا لأجد عدنان قلقا ، فهو لا يعلم عن مكان تواجدي شيئا، فقد تركتُ هاتفي هناك، .رويتُ له الحكاية التي جرحتني وأحرجتني أمام بعض المارة، فاحتضنني وقبل رأسي ويدي ..ثم اعتذر مني كثيرا ..وقال: "حبيبتي أمي الغالية ..أنا لم آتي الأيام الماضية لأنني كنتُ أرتب عودتي إلى هنا.. وقد نجحتُ في ذلك ومن اليوم فأنا سأعيش معك أنا وزوجتي وطفلتي.. وسأكون خادمك المطيع..فهل تقبلين بذلك يا أميرتي؟"

أحسستُ بالسعادة بعد ذلك الضيق الذي عكر صفوي منذ دقائق،فأردفت ببهجة: "أكيد أقبل ..!ولكن بشرط أن لا تُكرر مع زوجتك وابنتك نفس صنعِ أبيك معي ..! علمهن أولا حقيقة الحياة !علمهن أن يعتمدن على أنفسهن..علمهن أن حتى زهرة اللافندر رغم رقتها تحتاج إلى أشعة الشمس.. ثم أحببهن و دللهن ..ولكن باعتدال.. !"